الإنسان في الرخاء والشدة كما يصوره القرآن الكريم
دراسة موضوعية

د. مشاعل أنور اللهو
أستاذ مساعد- كلية التربية الأساسية- الكويت
د. سامية عاهد حرب
دكتوراه في القراءات القرآنية- جامعة العلوم الإسلامية العالمية- الأردن

الإنسان في الرخاء والشدة كما يصوره القرآن الكريم "دراسة موضوعية"

مشاعل أنور اللهو[1]*، سامية عاهد حرب[2] .
١- قسم الدراسات الإسلامية ، كلية التربية الأساسية ، الهيئة العامة للتعليم التطبيقي والتدريب ، الكويت .
٢- قسم القراءات والدراسات القرآنية، كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة العلوم الإسلامية العالمية، الأردن .
*البريد الإلكتروني للباحث الرئيسي : mm.mostafa@paaet.edu.kw

ملخص :

يسعى هذا البحث إلى الكشف عن مفهوم الرخاء والشدة في اللغة، وبيان طرائق التعبير القرآني عن أحوال الرخاء والشدة، ومواقف الإنسان في مواجهتها،وما يتضمنه ذلك من دلالات وإشارات، وما يعكسه من جوانب نفسية وسلوكية، بالإضافة إلى استنباط قواعد التربية القرآنية التي تهيئ الإنسان لمواجهة هذه الأحوال بما يحقق له الرضا والطمأنينة في حياته الدنيا، والفوز والفلاح في الآخرة، وذلك من خلال استقراء الآيات القرآنية ذات الصلة بالموضوع، ودراسة دلالاتها، واستقراء وتحليل ما كتبه العلماء والمفسرون حولها، للكشف عن بلاغة التعبير فيها واستنباط ما يستفاد منها من فوائد وقواعد و هدايات.

بعض النتائج:

-عناية القرآن الكريم بهذه القضية وعرضها في آيات عدة يدل على أهمية هذا الموضوع فهو يمس كل إنسان أياً كان جنسه أو دينه أو وصفه.

-تركيز القرآن الكريم الحديث عن هذه القضية في السور المكية فيه دلالة على ارتباطها بالبناء العقدي الإيماني عند الإنسان، وتشكيل التصورات الصحيحة حول الحياة والخالق عز وجل، وفي ذلك إرشاد للمربين والدعاة إلى الاهتمام بهذه القضية وغرس المفاهيم الصحيحة حولها في نفوس الأطفال والناشئة وحديثي الإسلام؛ لأنها أساس مهم ينطلق منه الإنسان في علاقته مع الله عز وجل، وسلوكه في مواجهة الأقدار التي يقدرها.

-تنوع طرائق التعبير القرآني عن حال الرخاء وحال الشدة وتبدلهما بألفاظ متعددة يعكس جوانب مختلفة، وأبعاد متنوعة لهذه الأحوال، مع تناسبها مع السياق الذي وردت فيه، وهذا يبرز وجهاً من وجوه الإعجاز القرآني.

-إن قواعد التربية القرآنية للإنسان في مواجهته لأحوال الرخاء والشدة تخلق جواً من الاستقرار النفسي لدى الإنسان، وتكسبه التوازن في التعامل معها.

التوصية:

أوصي الباحثين بالتوجه في أبحاثهم إلى التربية العقدية الإيمانية، مستلهمين الآيات الدالة عليها، مستصحبين دلالات السياق القرآني، والمعاني التي تنطق بها الألفاظ والتراكيب.

الكلمات المفتاحية: الإنسان ، الرخاء ، الشدة ، التربية القرآنية، الرضا والطمأنينة .

Man in prosperity and adversity, as depicted in the Holy Qur’an objective study

Mashael Anwar Al-Lahu 1*, Samia Ahed Harb 2.
1-Department of Islamic Studies, College of Basic Education, Public Authority for Applied Education and Training, Kuwait.

2- Department of Quranic readings and studies, College of Da`wah Islamic Call And Fundamentals of Religion , The World Islamic Science & Education University, Jordan.

*Corresponding aouther Email: mm.mostafa@paaet.edu.kw

Abstract:

This research seeks to reveal the concept of prosperity and distress in the language, and to clarify the methods of Qur’anic expression of the conditions of prosperity and distress, and the attitudes of man in confronting them, and the indications and signs that this contains, and what it reflects from psychological and behavioral aspects, in addition to devising the rules of Qur’anic education that prepares the person to confront These conditions are in a way that achieves contentment and tranquility in his life in this world, and victory and prosperity in the Hereafter, through extrapolating the Qur’anic verses related to the subject, studying their implications, and extrapolating and analyzing what scholars and commentators have written about them, to reveal the eloquence of expression in them and elicit the benefits, rules and gifts that can be learned from them.

Some results:

The Holy Qur’an’s attention to this issue and its presentation in several verses indicates the importance of this topic, as it affects every human being, regardless of his gender, religion or description.

- The focus of the Holy Qur’an talking about this issue in the Meccan surahs in it is an indication of its connection with the belief structure of man, and the formation of correct

perceptions about life and the Creator Almighty, and in this is a guide for educators and callers to pay attention to this issue and instill correct concepts around it in the hearts of children, young people, and newcomers of Islam; Because it is an important basis from which man proceeds in his relationship with God Almighty, and his behavior in the face of the predestination that he values.

- The diversity of the Qur’anic expressions of the state of prosperity and the state of distress, and their exchange with multiple words, reflects different aspects and various dimensions of these conditions, with their relevance to the context in which they were mentioned, and this highlights an aspect of the Qur’anic miracle.

- The rules of Qur’anic education for man in facing conditions of prosperity and distress create an atmosphere of psychological stability for man, and gain him balance in dealing with them.

recommendation:

I recommend the researchers to turn in their research to the doctrine of faith education, drawing inspiration from the verses indicating them, accompanied by the implications of the Qur’anic context, and the meanings uttered by words and structures.

Keywords: Man , Prosperity , Distress , Quranic Education , Contentment And Tranquility.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على النبي الأمين، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد...

أنزل الله تعالى القرآن الكريم هداية عامة، ومعجزة خالدة، وهو الرسالة الخاتمة التي تضمنت قواعد الفلاح والنجاة في الدنيا والآخرة، قال تعالى ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ ۖ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ ۚ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ النحل: ٨٩، ويأتي هذا البحث في سياق الكشف عن قواعد التربية القرآنية للإنسان، وتهيئته لمواجهة أحوال الرخاء والشدة بما يحقق له الرضا والطمأنينة في حياته الدنيا، والفوز والفلاح في الآخرة، وذلك من خلال دراسة الآيات القرآنية ذات الصلة بالموضوع، وإبراز دلالات ألفاظها، وأسرار التعبير القرآني فيها.

مشكلة الدراسة:

يحاول هذا البحث الإجابة عن الأسئلة الآتية:

-ما دلالات لفظي الرخاء والشدة في اللغة؟

-ما هي طرائق التعبير القرآني في التعبير عن أحوال الرخاء والشدة، وتبدلها؟

-كيف صور القرآن الكريم الإنسان في مواجهته لأحوال الرخاء والشدة؟

-ما هي قواعد التربية القرآنية لتهيئة الإنسان في مواجهة أحوال الرخاء والشدة؟

أهمية الدراسة:

تكتسب هذه الدراسة أهميتها من النقاط التالية:

- أنها تسعى للكشف عن بعض القواعد القرآنية المهمة التي فيها هداية وصلاح للإنسان.

- أنها تتعلق بدراسة التعبير القرآني الذي يعد وجهاً من وجوه الإعجاز.

- أنها تتعلق بقضية مهمة لا يستغني عنها أي إنسان، فالإنسان يتقلب في هذه الحياة بين أحوال الرخاء والشدة، فلا بد له أن يتسلح بما يعينه على مواجهتها،وبما يحفظ له الاستقرار في حياته الدنيا والفلاح والنجاة في الآخرة.

الدراسات السابقة:

لم تقف الدراسة في حدود الاطلاع على بحث يتناول هذا الموضوع بالمنهجية، والأغراض نفسها التي يسعى إليها هذا البحث، وأقرب ما وقعت عليه الدراسة بحثان حول موضوع الابتلاء، وهما:

-الابتلاء في القرآن الكريم، للباحث: محمد عبد العزيز الحمادي الرحالي، رسالة دكتوراة، جامعة أم القرى، مكة، ١٩٨٨م:تناولت الدراسة في بابها الأول الغاية من خلق الإنسان، وفي الباب الثاني الابتلاء بالخير والشر، والباب الثالث الابتلاء في طريق الدعوة إلى الله.

-سنة الابتلاء في القرآن الكريم، للباحث رجب نصر موسى الأنس، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين، ٢٠٠٧م، كان الفصل الأول في الابتلاء وسنة الله في التمحيص، والفصل الثاني في مظاهر الابتلاء، والفصل الثالث في الابتلاء وضروبه، والفصل الرابع في الابتلاء في سبيل الدعوة إلى الله.

ويلاحظ اختلاف الرسالتين في محاورهما عن موضوع هذا البحث الذي يركز على دراسة دلالات الألفاظ، وطرائق التعبير القرآني في تصوير الإنسان في مواجهة أحوال الرخاء والشدة، وبيان قواعد التربية القرآنية لمواجهة هذه الأحوال.

منهجية الدراسة:

اعتمد البحث على المنهجين البحثيين الآتيين:

-المنهج الاستقرائي -شبه التام- من خلال استقراء مجموعة من الآيات القرآنية ذات الصلة بموضوع الدراسة، واستقراء ما كتبه العلماء والمفسرون حولها.

-المنهج التحليلي: من خلال تحليل الآيات القرآنية، وما تضمنته من دلالات لغوية وبلاغية، وما كتبه العلماء والمفسرون حولها للكشف عن بلاغة التعبير فيها واستنباط ما يستفاد منها من فوائد وهدايات.

خطة البحث:

اقتضت طبيعة البحث تقسيمه إلى:

مقدمة: وهي التي بين أيديكم، واشتملت على مشكلة الدراسة وأهميتها، والدراسات السابقة، ومنهجية البحث، وخطته.

تمهيد بين يدي الآيات.

المبحث الأول مفهوم الرخاء والشدة في اللغة والقرآن.

المبحث الثاني الإنسان في مواجهة أحوال الرخاء والشدة.

الخاتمة وفيها أهم النتائج والتوصيات.

والله نسأل أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، مقبولاً عنده، نافعاً لمن قرأه، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

تمهيد

بين يدي الآيات

جاء الحديث عن الرخاء والشدة في حياة الإنسان في آيات عدة من القرآن الكريم، منها ما جاء وصفاًللأمم السابقة في مواجهة أحوال الرخاء والشدة كما في قوله تعالى﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَفَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَٰكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَفَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾ الأنعام:٤٢-٤٤وقوله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوْا وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ الأعراف:٩٤-٩٥.

ومنها ما جاء بصيغة الخطاب كما في قوله تعالى ﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۙ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَفَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ يونس:٢٢-٢٣،[١]ومنها ما جاء بصيغة الغائب كما في قوله تعالى ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ العنكبوت: ٦٥،وقوله تعالى ﴿وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ﴾ لقمان:٣٢.

ومنها ما جاء حديثاً عن الإنسان من حيث هو جنس، أو الناس بشكل عام، وهو الأكثر، كما في قوله تعالى ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنْبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَنْ لَمْ يَدْعُنَا إِلَىٰ ضُرٍّ مَسَّهُ ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ يونس:١٢، وقوله تعالى ﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا ۖ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾ الروم:٣٦، وقوله تعالى ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ۖ

---

[١] وأيضا الأنعام: ٦٣-٦٤، والنحل:٥٣-٥٥، والإسراء: ٦٧.

فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ ۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ الحج:١١، وغيرها.[١]

ومن الآيات ما جاء تقريراً للتربية القرآنية للإنسان في التعامل مع أحوال الرخاء والشدة، كما في قوله تعالى ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ البقرة:١٥٦، وقوله تعالى ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ الأنبياء: ٣٥، وقوله تعالى ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ الحديد:٢٢، وغيرها.[٢]

وحديث القرآن عن هذه القضية إنما يراد به الإنسان من حيث هو جنس، وعن الناس عموما لا فرداً معيناً، فعلى سبيل المثال قال أبو حيان في تفسيره لآية (يونس:١٢):«والظاهر أنه لا يراد بالإنسان شخص معين...وأنه لا يراد به الكافر، بل المراد الإنسان من حيث هو سواء كان كافراً أم عاصياً بغير الكفر».[٣]

وعلى الرغم من حمل ابن عاشور التعريف في لفظ الإنسان في هذه الآية على الاستغراق العرفي المراد به الإنسان الكافر إلا أنه قرر أن حكمها لا يختص بالكافر حيث قال: «ويأخذ المسلمون من هذا الحكم ما يناسب مقدار ما في آحادهم من بقايا هذه الحال الجاهلية فيفيق كل من غفلته».[٤]

وقال ابن كثير في تفسيره لآية (الروم:٣٦): «هذا إنكار على الإنسان من حيث هو إلا من عصمه الله ووفقه».[٥]

يتبين مما سبق من أقوال المفسرين أن بعض الآيات وإن جاءت في سياق الحديث عن الإنسان الكافر إلا أن مفهومها ينطبق على الإنسان في أصل جبلته، فقد يقع المسلم في حال الرخاء أو الشدة في بعض المحاذير التي حذرت منها الآيات، ضعفاً أو غفلة أو سهواً، وهذا يدل على قصور في رسوخ مفاهيم التربية القرآنية في قلبه، فكلما رسخت هذه المفاهيم في قلبهانعكس أثرها على واقع سلوكه، وكان أكثر اتزاناً في التعامل مع أحوال الرخاء والشدة.

---

[١] ينظر هود: ٩-١٠، والإسراء: ٨٣، والروم: ٣٣، ٣٦، والزمر: ٨، ٤٩، وفصلت: ٤٩-٥١، والشورى:٤٨، والمعارج: ١٩- ٢٢، والفجر:١٥-١٦.

[٢] ينظر البقرة: ١٧٧،النساء: ٧٨-٧٩، يونس: ١٠٧، الرعد: ١١، محمد:٣١، والتغابن:١١، الشرح: ٥-٦.

[٣] أبو حيان، البحر المحيط، ج٥، ص١٣٣. وينظر الزمخشري، الكشاف، ج٢، ص١٣٣. وقد ذكر المفسران مثل ذلك في تفسير آية هود: ٩، ينظر أبو حيان البحر المحيط، ج٥، ص٢٠٧. والزمخشري، الكشاف، ج٢، ص٣٦٧. وكذا في تفسير الروم:٣٣، ينظر أبو حيان البحر المحيط، ج٧، ص١٦٩.

[٤] ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج١١، ص١٠٩.

[٥] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج٦، ص٢٨٦.

وقد ربط المفسرون بعض الآيات بأحداث حدثت زمن البعثة، كما جاء في قوله تعالى﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُمْ مَكْرٌ فِي آيَاتِنَا ۚ قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا ۚ إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ﴾ يونس:٢١، حيث ذكر أبو حيان أن سبب نزولها ما أصاب أهل مكة من الجدب والقحط فطلبوا من النبي ﷺ أن يدعو لهم بالخصب، لكن ذلك لا يدل على اختصاصها بهم، قال أبو حيان: «وهذه الآية وإن كانت في الكفار فهي تتناول من العاصين من لا يؤدي شكر الله عند زوال المكروه عنه ولا يرتدع بعد ذلك عن معاصيه، وذلك في الناس كثير».[1]

وجاء تقرير ذلك واضحاً في سورة المعارج، قال ابن كثير: «يقول تعالى مخبراً عن الإنسان ما هو مجبول عليه من الأخلاق الدنيئة ﴿إن الإنسان خلق هلوعاً﴾ المعارج:١٩».[2]

أما الحديث عن الأمم السابقة وأحوالها في الشدة والرخاء فهو للاعتبار والاتعاظ تحذيراً من الوقوع فيما وقعوا فيه، وفيه إشارة إلى أنها قضية مشتركة بين الناس جميعاً على مر العصور.

ويلحظ أن حديث القرآن عن هذه القضية قد تركز في السور المكية كالأنعام، والأعراف، ويونس، وهود، والنحل والأنبياء، والإسراء، والروم، والزمر، وفصلت، والشورى وغيرها.

واستمر الحديث عن هذا الموضوع بصورة أقل في السور المدنية مثل البقرة، والنساء ومحمد، تأكيداً للمفاهيم والقيم التي غرست في الفترة المكية، وربطاً لها بتطبيقاتها في واقع حياة المسلمين في الفترة المدنية.

ولعل التركيز على هذه القضية في السور المكية يعزى إلى ارتباطها بقضايا الإيمان العقيدة، فهي تعنى بضبط علاقة الإنسان بالله تعالى مالك هذا الكون والمتصرف فيه ومقدر الأقدار، والإيمان بالقدر، وتتعلق كذلك بتصور الإنسان حول الحياة وتقلباتها، وانعكاس ذلك على الجوانب النفسية والسلوكية لديه، كما أن تلك الآيات تؤسس منهجاً تربوياً للتعامل مع هذا الإنسان بما يتناسب وبشريته، وتهيئ حملة دعوة الحق للتعامل معه على وفق ذلك المنهج المتوازن.

إن هذا البحث يسعى إلى دراسة الآيات ذات الصلة دراسة موضوعية تحليلية تبرز دلالات التعبير القرآني عن أحوال الرخاء والشدة، وتصوير الإنسان في مواجهتها، مع بيان التربية القرآنية المثلى للتعامل المتزن معها.

[1] أبو حيان، البحر المحيط، ج٥، ص١٤٠..

[2] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج٨، ص٢٤٠.

المبحث الأول

مفهوم الرخاء والشدة في اللغة والقرآن

بادئ ذي بدء لا بد من تناول دلالات لفظي الرخاء والشدة في اللغة، ودراسة الألفاظ القرآنية الدالة على حالي الرخاء والشدة دراسة تربط بين الدلالات اللغوية والدلالات السياقية في التعبير القرآني، وتبرز ما اختص به التعبير القرآني من إشارات ولطائف، وذلك من خلال أربعة مطالب:

المطلب الأول: الرخاء والشدة في اللغة

المطلب الثاني: الرخاء في التعبير القرآني

المطلب الثالث: الشدة في التعبير القرآني

المطلب الرابع: تبدل الأحوال بين الرخاء والشدة في التعبير القرآني

المطلب الأول

الرخاء والشدة في اللغة

أولا: الرخاء في اللغة:

أصل مادة (رخو) تدل على اللين،[١] «الرِّخو والرَّخو والرُّخو الهش من كل شيء»،[٢] ومن هذا المعنى أخذ لفظ الرخاء فالرخاء سعة العيش،[٣] «ويقال استرخى به الأمر واسترخت به حاله إذا وقع في حال حسنة غير شديدة»،[٤] ويقال «رخيٌّ البال إذا كان في نعمة واسع الحال بيّن الرخاء ممدود ويقال إنه في عيش رخيّ».[٥]

فلفظ الرخاء يعكس لين هذه الأحداث وسهولة تطويع الإنسانلها لصالحه.

جاء في القرآن ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ﴾ ص:٣٦، وهي الريح اللينة.

ثانياً: الشدة في اللغة:

أصل مادة (شدد) تدل على قوة في الشيء،[٦] و«الشدة الصلابة وهي نقيض اللين، تكون في الجواهر والأعراض»،[٧] ومن هذا المعنى أخذ لفظ الشدة، فالشدة والشديدة من مكاره الدهر وجمعها شدائد، وتطلق الشدة على المجاعة، والشدائد الهزائز، والشدة

---

[١] ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج٢، ص٥٠١.

[٢] ابن منظور، لسان العرب، ج١٩، ص٢٨.

[٣] المرجع نفسه.

[٤] ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج٢، ص٥٠٢.

[٥] ابن منظور، لسان العرب، ج١٩، ص٢٨.

[٦] ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج٣، ص١٧٩.

[٧] ابن منظور، لسان العرب، ج٤، ص٢١٨.

صعوبة الزمن، وشدة العيش شظفه.[1]فلفظ الشدة يعكس صعوبة هذه الأحداث وقوة أثرها على من تحل به، وصعوبة تطويعها لصالحه.

يتبين مما سبق أن كلا المفهومين ذوا ارتباط بحقيقة تقلب الحياة بين سهولة وصعوبة، ورغد وعقبات، وهذا ما تجري عليه أحوال البشر في مراحل معاشهم المتعاقبة.

المطلب الثاني

الرخاء في التعبير القرآني.

وردت في القرآن الكريم كلمة واحدة فقط من مادة (رخو) وهي في قوله تعالى (فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ) (ص:٣٦)،[2]وهي وإن لم تكن المنطلق في التعبير القرآني عن حال اليسر وسعة العيش إلا أنها تعكس معنى السهولة وما يمكن الإنسان من تطويع الأشياء والسيطرة عليها والاستمتاع بها، وهو لب معنى الرخاء.

وقد تنوعت طرائق التعبير القرآني عن حال الرخاء، وفيما يأتي بيانها:

١-الرحمة:

وهي من أكثر طرق القرآن الكريم في التعبير عن حال الرخاء،[3]والرحمة هنا مطلقة على الأثر المترتب عليها وهو النعمة والنفع،[4]وفيها دلالة على أن حال الرخاء أثر أثر من آثار رحمة الله تعالى في الدنيا. كما أن أصل كلمة الرحمة يدل على العطف والرقة والرأفة،[5] فالتعبير بالرحمة جاء متناسباً مع واقع الضعف الذي جبل عليه الإنسان الإنسان حيث تميل نفسه إلى السهولة واليسر قال تعالى (وخلق الإنسان ضعيفا) النساء: ٢٨.

٢-الخير:

وهي أيضاً من أكثر طرق القرآن الكريم في التعبير عن حال الرخاء،[6]والخير ضد الشر، وهو ما يرغب فيه الكل،[7] وأصل مادة (خير) تدل على العطف والميل، فالخير خلاف الشر لأن كل أحد يميل له ويسعى إليه،[8]وقد جاء التعبير عن الرخاء بالخير في قوله تعالى ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ۖ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ ۖ﴾

[1] المرجع نفسه.
[2] ينظر عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن، ص٣٨٠.
[3] وردت في عدة آيات مثل يونس:٢١، والروم:٣٣، ٣٦، وهود:٩، والشورى: ٤٨.
[4] ينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج١١، ١٣٣.
[5] ينظر ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج٢، ص٤٩٨.
[6] وردت في عدة آيات مثل يونس: ١٠٧، الحج: ١١، الأنبياء: ٣٥، فصلت:٤٩، المعارج: ٢١.
[7] ينظر الأصفهاني، المفردات، ص٣٠٠.
[8] ينظر ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج٢، ص٢٣٢.

الحج:١١، وهو متناسب مع اطمئنان الإنسان بحال الرخاء وميله إليه. وكذلك في قوله تعالى ﴿لَا يَسْأَمُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ﴾ فصلت: ٤٩، أي لا يمل ولا يفتر،[١] ولا يكتفي من الخير ولا يقنع،[٢] وهذا بسب ميله لحال الرخاء وحبه له.

٣-النعمة والنعماء:

النعمة الحالة الحسنة، والنعمة للجنس تقال للقليل والكثير، قال تعالى ﴿وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها﴾ النحل:١٨،[٣] ويرى ابن فارس أن أصل (نعم) على كثرة فروعه يرجع إلى معنى ترفه وطيب عيش وصلاح،[٤] فالنعمة تشير إلى معنى الترفه والاستمتاع في حال الرخاء، وقد ارتبطت بلفظ التخويل في قوله تعالى ﴿ثم إذا خوله نعمة منه نسي ما كان يدعو إليه من قبل﴾ الزمر:٨، وقوله تعالى ﴿ثم إذا خولناه نعمة منا قال إنما أوتيته على علم﴾ الزمر:٤٩، والتخويل الإعطاء والتمليك دون عوض،[٥] وجاء التعبير في قوله تعالى ﴿وما بكم من نعمة فمن الله﴾ النحل:٥٣، بالباء الدالة على الملابسة والمصاحبة،[٦] وهو متناسب مع معنى الترفه والاستمتاع بحيث يتملك الإنسان النعم التي تصاحبه فيشعر من خلالها بطيب العيش ومتعته، ومن بلاغة القرآن ما جاء في خاتمة آية الزمر في وصف الإنسان الذي يتمتع بهذه النعم مع كفره بالله عز وجل ﴿قل تمتع بكفرك قليلاً إنك من أصحاب النار﴾ الزمر: ٨..

أما كلمة (النعماء) فوردت في موضع واحد في القرآن الكريم وهو قوله تعالى ﴿ولئن أذقناه نعماء بعد ضراء مسته ليقولن ذهب السيئات عني إنه لفرح فخور﴾ هود:١٠،[٧] وفرق أبو هلال العسكري بين النعمة والنعماء، حيث ذكر أن النعماء هي النعمة الظاهرة لأنها خرجت مخرج الأحوال الظاهرة مثل الحمراء والبيضاء، أما النعمة فقد تكون غير ظاهرة،[٨] فكأن التعبير عن الرخاء بلفظ (النعماء) يشير إلى حالة تتلبس الإنسان عند حلول النعمة حتى تظهر آثارها عليه فيفرح بوجودها ويتفاخر بها، وهو

---

[١] ينظرأبو السعود، إرشاد العقل السليم، ج ٦، ص٤.
[٢] ينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٢٥، ص١٠.
[٣] ينظر الأصفهاني، المفردات، ص٨١٤.
[٤] ينظرابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج٥، ص٤٤٦.
[٥] ينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٢٣، ص٣٤٣.
[٦] ينظر أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ج٤، ص٦٩.
[٧] ينظر عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن، ص٨٠١.
[٨] ينظر العسكري، الفروق اللغوية، ص١٩٧.

التعبير الذي جاء في فاصلة الآية التي عبرت بالنعماء ﴿إنه لفرح فخور﴾ هود:١٠.

٤-السراء:

وردت كلمة (السراء) في موضعين في قوله تعالى ﴿ الذين ينفقون في السراء والضراء﴾ آل عمران:١٤٣، وقوله تعالى ﴿ ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة حتى عفوا وقالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء﴾ الأعراف: ٩٥، والسراء ضد الضراء، مشتقة من سره سراً وسروراً،[١] والسرور خلاف الحزن،[٢] وفي التعبير بها عن حال الرخاء إشارة إلى أثره النفسي على الإنسان وهو السرور.

٥-الحسنة:

الحسنة في الأصل صفة لموصوف محذوف، وهي الحالة الحسنة، ثم كثر حذف الموصوف فصارت كالاسم،[٣] والحسن هو كل مبهج مرغوب فيه، ويعبر بها عن كل ما يسر الإنسان من نعمة في نفسه وبدنه وأحواله، وضدها السيئة.[٤] ومن الآيات التي وردت وردت فيها كلمة الحسنة قوله تعالى﴿ ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوْا وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ الأعراف:٩٥، وقوله تعالى ﴿ فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَٰذِهِ ۖ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَنْ مَعَهُ ۗ أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ الأعراف: ١٣١، والتعبير بلفظ (حسنة) عن حال الرخاء فيه دلالة على حسن هذا الحال، واستحسان الإنسان له ورغبته فيه.

ويلحظ اجتماع لفظي (الحسنة) و(السراء) في آية الأعراف: ٩٥ السابق ذكرها، حيث جمع بين المؤثر والأثر الذي يمثل حالة الرخاء التي تصفها الآية الكريمة.

٦-اليسر:

كما في قوله تعالى ﴿ سيجعل الله بعد عسر يسرا﴾ الطلاق: ٧، وقوله تعالى ﴿فإن مع العسر يسرا إن مع العسر يسرا﴾ الشرح: ٤-٥، واليسر ضد العسر، وهو يدل على معنى السهولة، وهوسهولة تحصيل المرغوب وعدم التعب فيه.[٥]

إن التعبير عن حال الرخاء باليسر فيه إشارة إلى سهولة العيش، فهو وصف لتفاعل الإنسان مع الأشياء والأحداث، ولطافة حلولها في حياته.

[١] ينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٤، ص٩٠-٩١.
[٢] ينظر الجوهري، الصحاح، ج٢، ص٦٨٢.
[٣] ينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٩، ص١٨.
[٤] ينظر الأصفهاني، المفردات، ص٢٣٥.
[٥] ينظر الأصفهاني، المفردات، ٨٩١. وابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٣٠، ص٤١٥.

المطلب الثالث

الشدة في التعبير القرآني

استعمل القرآن الكريم مادة (شدد) في عدة تصاريف، أهمها: شددنا، سنشد، واشدد، واشتدت، وشديد، وشداد، وأشداء، وأشد، وأشده، وأشدهما.[١] وأغلب هذه الألفاظ ترجع إلى معنى القوة، قال الراغب: «والشدة تستعمل في العقد وفي البدن، وفي قوى النفس وفي العذاب».[٢] ومنها ما يرجع إلى معنى البخل كقوله تعالى ﴿ وإنه لحب الخير لشديد﴾ العاديات: ٨.[٣]

ولم يستعمل القرآن الكريم مادة (شدد) في التعبير عن الصعاب ومكاره الدهر، بل جاء التعبير عنها بعدة ألفاظ قرآنية، وفيما يأتي بيانها:

١-الضر والضراء:

(الضر) من أكثر الألفاظ استعمالاً في القرآن الكريم في التعبير عن الشدة والشدائد،[٤] والضر سوء الحال إما في النفس لقلة العلم والفضل والعفة، وإما في البدن، وإما في حالة ظاهرة من قلة مال أو جاه.[٥] والضر يقابل النفع، وهو الحال الذي يؤلم الإنسان.[٦] فالتعبير بالضر دلالة وصفية لحال الشدة وما تسببه من ضرر وإيلام،بحيث تخرج الإنسان عن ضبط انفعالاته النفسية والسلوكية.

و(الضراء)أيضاً من أكثر الألفاظ استعمالاً في التعبير عن الشدة،[٧] ويقابلها السراء والنعماء.[٨]

فرق أبو هلال العسكري بين الضر والضراء أن الضراء هي المضرة الظاهرة لأنها أخرجت مخرج الأحوال الظاهرة كالحمراء والبيضاء.[٩] أما الضر فقد لا يكون ظاهراً.فكأن التعبير بالضر يركز على وصف حال الشدة والتعبير بالضراء يركز على ظهور أثر حال الشدة على الإنسان.

---

[١] ينظر عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن، ص٤٦٢- ٤٦٤.
[٢] الأصفهاني، المفردات، ص٤٤٧.
[٣] ينظر المرجع نفسه.
[٤] فقد جاءت في الأنعام: ١٧، يونس: ١٢، ١٠٧،النحل: ٥٣، الإسراء: ٥٦، ٦٧، الأنبياء: ٨٣، الروم: ٣٣، والزمر: ٨، ٤٩.
[٥] ينظر الأصفهاني، المفردات ص٥٠٣.
[٦] ينظر ابن عاشور التحرير والتنوير، ج٧، ص١٦٣.
[٧] فقد وردت في البقرة: ١٧٧، ٢١٤، وآل عمران: ١٣٤، الأنعام: ٤٢، الأعراف: ٩٤-٩٤، يونس: ٢١، هود:١٠، فصلت:٥٠.
[٨] ينظر الأصفهاني، المفردات، ص٥٠٤.
[٩] ينظر العسكري، الفروق اللغوية، ص١٩٨.

٢-المصيبة:

(المصيبة) من أكثر الألفاظ استعمالاً في القرآن الكريم تعبيراً عن الشدة،[١] وهي من أصاب، يقال: أصاب السهم إذا وصل إلى المرمى بالصواب، والمصيبة أصلها في الرمية ثم اختصت بالنائبة،[٢] وقد وردت في عدة آيات، منها قوله تعالى ﴿ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ البقرة:١٥٦، وقوله تعالى ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ الحديد:٢٢، وقوله تعالى ﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾ الشورى:٣٠، وقوله تعالى ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ ۚ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ التغابن: ١١، والتعبير بلفظ (المصيبة) يشير إلى معنى لحوق الضر بالإنسان وتمكنه ممن يصيبه، مثلما يصيب السهم الهدف، ومما يؤكد ذلك أن هذه الكلمة لم ترد في القرآن إلا مقترنة بلفظ الإصابة.[٣]

٣-الشر:

الشر خلاف الخير، وهو الذي يرغب عنه الكل،[٤]قال ابن فارس: «الشين والراء أصل واحد يدل على الانتشار والتطاير، من ذلك الشر خلاف الخير، ورجل شرير وهو الأصل، لانتشاره وكثرته».[٥]

يلاحظ أن الآيات التي عبرت بلفظ (الشر) عن حال الشدة جاء فيها وصف الإنسان باليأس والقنوط كما في قوله تعالى ﴿ وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ ۖ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَئُوسًا ﴾ الإسراء:٨٣،وقوله تعالى ﴿ لَا يَسْأَمُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ ﴾ فصلت: ٤٩، ووصف بالجزع كما في قوله تعالى ﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًاإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ﴾ المعارج:١٩- ٢٠، ووصف بأنه ذو دعاء عريض كما في قوله تعالى ﴿ وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ

---

[١]وردت في الآيات الآتية: البقرة: ١٥٦، آل عمران: ١٦٥، والنساء، ٦٢، ٧٢، والمائدة: ١٠٦، والتوبة:٥٠، والقصص:٤٧، والشورى:٣٠، الحديد:٢٢، والتغابن:١١. ينظر عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، ص٥١١- ٥١٢.

[٢]ينظر الأصفهاني، المفردات، ص٤٩٥.

[٣]ينظر عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، ص٥١١- ٥١٢.

[٤]ينظر الأصفهاني، المفردات، ص٤٤٨.

[٥]ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج٣، ص١٨٠.

الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ﴾ فصلت: ٥١،،وهو المتناسب مع معنى الانتشار والكثرة في لفظ الشر.

واقترن الشر بالمس في كل الآيات التي ورد فيها[1] إلا في آية واحدة وهي قوله تعالى (الأنبياء:٣٥) لارتباطها بمفهوم الاختبار بالرخاء والشدة، والتعبير بالمس في بقية الآيات وإن دل على خفة الإصابة، إلا أن اقترانه بلفظ الشر جاء متناسباً مع ردة فعل الإنسان حيال ما يصيبه من شر وإن كان مساً خفيفاً حيث يقع فياليأس والقنوط والجزع ويلهج بالدعاء العريض.

٤-السوء والسيئة:

أصل السوء يدل على القبح،[2]وهو كل ما يغم الإنسان من الأمور الدنيوية والأخروية، ومن الأحوال النفسية والبدنية والخارجة من فوات مال وجاه وفقد حميم، والسيئة: ضد الحسنة وهي الفعلة القبيحة، وقد تناولها القرآن الكريم باعتبارين:

- باعتبار العقل والشرع، كقوله تعالى﴿ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ الأنعام:١٦٠.

- باعتبار الطبع: وتعني ما يستثقله الإنسان من أحداث تواجهه، كما في قوله تعالى﴿ فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَٰذِهِ ۖ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَنْ مَعَهُ ۗ أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ الأعراف:١٣١.[3]وهذا المعنى المراد بالسيئة في هذا البحث.

وجاء التعبير عن الشدة بلفظ السوء في قوله تعالى ﴿ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ ۗ أَإِلَٰهٌ مَعَ اللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾ النمل:٦٢. وقوله تعالى ﴿ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ ۚ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ الأعراف:١٨٨.

وجاء التعبير بالسيئة في قوله تعالى ﴿ وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا ۖ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾ الروم:٣٦، وقوله تعالى ﴿ وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا ۖ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ﴾ الشورى:٤٨. وآية الأعراف: ١٣١، التي سبق ذكرها.

[1] وهي الإسراء:٨٣، وفصلت:٤٩، ٥١، والمعارج:٢٠.
[2] ينظر ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج٣، ص١١٣.
[3] ينظر الأصفهاني، المفردات، ص٤٤١-٤٤٢.

فالتعبير بالسوء والسيئة فيه إشارة إلى استثقال الطبع الإنساني لحال الشدة، وما يسببه من أثر نفسي عليه حيث يسوؤه هذا الحال ويغمه.

ومن لطيف المناسبات التعبير بالسيئة في آيتي الروم:٣٦، والشورى:٤٨، حيث ربطت الآيتان إصابة الناس بالسيئة بشؤم معاصيهم وسيئاتهم.

٥-البأساء:

البأساء حالة شعورية تتلبس الإنسان عند حلول البلايا، قال الأصفهاني: «البؤس والبأس والبأساء: الشدة والمكروه إلا أن البؤس في الفقر والحرب أكثر، والبأس والبأساء في النكاية».[١]

فرق أبو هلال العسكري بين البأساء والضراء، فالبأساء عنده ضراء معها خوف، فأصلها البأس وهو الخوف.[٢]

ويرى كثير من المفسرين أن البأساء فيالفقر، والضراء في البدن،[٣]وهذا ما يؤيده الاستعمال القرآني لكلمة البأساء، فلم ترد في القرآن الكريم إلا مقترنة بالضراء،[٤]كما في قوله تعالى ﴿ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ ۗ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ البقرة: ١٧٧، وهذا ما يرجح أنها تدل على نوع خاص من الضر وهو الفقر في الاستعمال القرآني.

٦-الفتنة:

وهي حالة اختبارية تمحيصية، يواجهها الإنسان، وأصل الفتنة إدخال الذهب النار لتظهر جودته،[٥]وجاءت تعبيراً عن الشدة في قوله تعالى ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ۖ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ ۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ الحج:١١، قال أبو السعود في معنى (الفتنة): «شيء يفتتن به من مكروه يعتريه في نفسه أو أهله أو ماله».[٦]والفتنة هنا تدل على معنى الاختبار كما ذكر القرطبي،[٧] وتدل على معنى اضطراب الحال كما ذكر ابن عاشور،[٨] وكلا المعنيين مرتبطان بالمعنى اللغوي فالذهب عند إدخاله النار يضطرب، لتختبر جودته، وكذلك الشدائد التي يتعرض لها الإنسان في حياته تسبب له اضطراب الحال

[١]الأصفهاني، المفردات، ص١٥٣.

[٢]ينظر العسكري، الفروق، ص٣٤١.

[٣]ينظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج١، ص٣٥٧. ووأبو السعود، إرشاد العقل السليم، ج١، ص٢٣٦. والشوكاني، فتح القدير، ج١، ص٢٤٣.

[٤]وردت في البقرة: ١٧٧، ٢١٤. والأنعام: ٤٢. والأعراف: ٩٤.

[٥]ينظر الأصفهاني، المفردات، ص٦٢٣.

[٦]أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ج ٤، ص٣٧١.

[٧]ينظر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج١٢، ص١٨.

[٨]ينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج١٧، ص٢١٣.

والقلق، وهي اختبار يكشف صدق إيمانه.

٧-العسر:

وهو وصف لحالة من الصعوبة والمشقة في التفاعل مع الأحداث والأشياء، تعتري حياة البشر. أصل مادة(عسر) في اللغة يدل على صعوبة وشدة، وهو نقيض اليسر، وجاء في القرآن الكريم تعبيراً عنالأمور الصعبة في الحياة الدنيا كما في قوله تعالى ﴿ لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ التوبة:١١٧.[١]وكذلك في وصف بعض أحداث الآخرة، كما في قوله تعالى ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِفَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ﴾ المدثر: ٨-٩.[٢]

وجاء تعبيرا عن حال الشدة في قوله تعالى﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا ۚ سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ الطلاق:٧، وقوله تعالى ﴿ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًاإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ الشرح: ٥-٦.

فالتعبير بلفظ (العسر) عن الشدائد فيهدلالة على صعوبتها على الإنسان.

٨-الكرب:

وهو الغم الشديد، أصله من كرب الأرض، وهو قلبها بالحفر، وكذلك الغم يثير النفس،[٣]وقد جاءت في وصف الشدة في قوله تعالى ﴿قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَئِنْ أَنْجَانَا مِنْ هَٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَقُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ﴾ الأنعام: ٦٣- ٦٤، فالتعبير بالكرب عن الشدة فيه دلالة على أثرها النفسي الكبير على الإنسان.

إن الألفاظ السابقة التي استخدمها القرآن في التعبير عن الشدة تعكس حالة من التفاعل التأثيري بين الإنسان وما يواجهه من عقبات وأحداث استثنائية في حياته تنعكس عليه فتؤلمه وتؤثر في مسيرته المعتادة.

المطلب الرابع

التعبير القرآني عن تبدل الأحوال بين الرخاء والشدة

يعبر القرآن الكريمأحياناً عن حال الرخاء بتبدل حال الشدة وزواله، كما يعبرعن حال الشدة بتبدل حال الرخاء وزواله، وفيما يأتي بيان ذلك:

[١]وأيضاً في البقرة: ١٨٥، والطلاق: ٧، والكهف: ٧٣، وغيرها

[٢]وأيضاً في القمر:٨، والليل: ١٠، والفرقان: ٢٦.

[٣]ينظر الأصفهاني، المفردات، ص٧٠٦.

١-كشف الضر، والسوء:

عبر القرآن الكريم في بعض الآيات عن حال الرخاء بكشف الضر والسوء كما في قوله تعالى ﴿ وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنْبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَنْ لَمْ يَدْعُنَا إِلَىٰ ضُرٍّ مَسَّهُ ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ يونس:١٢، وقوله تعالى ﴿ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرَّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾ النحل: ٥٤، وقوله تعالى ﴿ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ ۗ أَإِلَٰهٌ مَعَ اللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾ النمل:٦٢، وحقيقة الكشف إظهار شيء عليه غطاء، وقد استعير التعبير بكشف الضرتشبيهاًللضر المزال بشيء ساتر لشيء،فكأن الضر والسوء غشاء يحول دون المرء والاهتداء إلى الخلاص،[1]وفي هذا التعبير دلالة على ضعف الإنسان وعجزه عن الخلاص من حال الشدة الذي يغشاه إلا بفضل من الله تعالى.

٢-الإنجاء من حال الشدة:

جاء التعبير في بعض الآيات عن حال الرخاء بالإنجاء من حال الشدة والضر، كما في قوله تعالى ﴿ هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۙ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَفَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ يونس:٢٢-٢٣، وقوله تعالى ﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ ۖ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا) الإسراء: ٦٧، وقوله تعالى ﴿ وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ﴾ لقمان:٣٢، قال الراغب: «أصل النجاء: الانفصال من الشيء، ومنه نجا فلان من فلان...والنجوة والنجاة: المكان المرتفع عما حوله، وقيل: سمي لكونه ناجياً من السيل».[2]

فالتعبير بلفظ الإنجاء عن حال الرخاء فيه إشارة إلى الانفصال عن حالالضروالشدة والبعد عنه.

٣-فتح أبواب الخير:

عبر القرآن الكريم عن إزالة الشدة بفتح أبواب الخير في قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَفَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَٰكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَفَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ

[1] ينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج١١، ص١١١.
[2] الأصفهاني، المفردات، ص٧٩٢.

فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾ الأنعام:٤٢-٤٤، والحديث هنا عن أقوام ابتلاهم الله بالبأساء والضراء فلم يتعظوا، فرفع الله تعالى عنهم الشدة وفتح عليهم أبواب الخير استدراجاً، فالتعبير بفتح الأبواب استعارة لإزالة ما يؤلم،[1] وقوله (كل شيء) المقصود به ما سد عليهم بالبأساء والضراء،[2] فالمقصود بفتح الأبواب وصف لحال الرخاء على سبيل الاستدراج والعقوبة، فهي عقوبة تتبع بلاء لا رخاء تفرج به شدة.

٤-نزع الرحمة:

عبر القرآن الكريم عن حال الشدة بنزع الرحمة في قوله تعالى ﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَئُوسٌ كَفُورٌ﴾ هود: ٩،وفيه دلالة على شدة تعلق الإنسان بالنعم وحرصه عليها،[3]وهذا ما يدفعه إلى اليأس في حال الشدة، فهو في حال الرخاء غافل عن شكر المنعم سبحانه، غير مستشعر لحكمته في تقدير أحوال الرخاء والشدة، لذا يتعلق بالنعم ويطمئن بها، فإذا سلبت منه حل اليأس في قلبه.

٥-تبديل الحسنة مكان السيئة:

عبر القرآن الكريم عن إزالة الشدة بتبديل الحسنة مكان السيئة، وذلك في قوله تعالى ﴿ ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوْا وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ الأعراف:٩٥، وأصل (بدل) يدل على قيام الشيء مقام الشيء الذاهب،[4] والتبديل التعويض، وعبرت الآية بلفظ (مكان) مجازاً عن الخَلَفية؛ لأن الخلف يحل في مكان المخلوف، وفي الآية الحسنة هي المأخوذة والسيئة هي المتروكة.[5]ولعل في ذلك التعبير إشارة إلى سنة تعاقب أحوال الرخاء والشدة في الحياة.

يمكن القول إن التعبير القرآني اتسم بالدقة في وصف أحوال الرخاء والشدة بما يتناسب مع التأثير والأثر من جهة، ونوع ذلك التأثير من حيث كونه عقدياً أو نفسياً أو سلوكياً، وهذا يدل على دقة الوصف القرآني لما يحل بالإنسان في حياته من أحوال رخاء وشدة، وتقلب بينهما، ولا شك إن دلالة المعنى اللغوي جلية في كل آية وصفت تلك الأحوال.

---

[1]ينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٧، ص٢٣٠.
[2]ينظر ابن عطية، المحرر الوجيز، ج٢، ص٢٩٢.
[3]ينظر أبو السعود، إرشاد العقل السليم،ج٣، ص٢٩٠.
[4]ينظر ابن فارس، مقاييس اللغة، ج١، ص٢١٠.
[5]ينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٩، ص١٧- ١٨.

المبحث الثاني

الإنسان في مواجهة أحوال الرخاء والشدة

إن الآيات التي وصفت أحوال الرخاء والشدة لم تكن مجرد عرض لتلك الأحوال، بل إنها أحيت مشاهد تفاعلية انفعالية بين الإنسان وتلك الأحوال، اتسمت بدقة توصيف حاله وانفعالاته من جهة، وطرح أسس تربوية تعين الإنسان على التفاعل الإيجابي في كل حال مما يقيه إلحاق الضر بذاته، ومزاجه، وعاقبته.

وسيتم تفصيل ذلك في ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الإنسان في حال الرخاء

المطلب الثاني: الإنسان في حال الشدة

المطلب الثالث:في ظلال التربية القرآنية للإنسان في أحوال الرخاء والشدة

المطلب الأول

الإنسان في حال الرخاء

صور القرآن الكريم الإنسان في مواجهة حال الرخاء في آيات عدة كشفت عن جوانب عقدية ونفسية وسلوكية لديه، وتسهم دراسة هذه الآيات في معرفة مواطن الخلل وتصحيح مسار الإنسان في مواجهة حال الرخاء في حياته، وقد يقصد بالرخاء ما يعتري الإنسان إثر زوال شدة، أو ما يحل به ابتداء.

وفيما يأتي بيان لأهم ما ذكرته الآيات في ذلك:

١ـنسيان الإنسان حاله في الضر ودعاءه وتضرعه إلى الله تعالى:

قال الله تعالى ﴿ وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنْبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَنْ لَمْ يَدْعُنَا إِلَىٰ ضُرٍّ مَسَّهُ ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ يونس:١٢، وقال تعالى ﴿ وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ ۚ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ۖ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ﴾ الزمر:٨، ففي حال الرخاء يترك الإنسان -إلا من هدى الله- الدعاء والتضرع إلى الله تعالى، وينسى حاله في الشدة وتضرعه إلى الله تعالى في جميع الأوقات والأحوال لجنبه أو قاعداً أو قائماً،[١] فإذا نسي الإنسان ذلك انغمس في الشهوات والمعاصي أو وقع في الكفر والشرك، وهذا من الإسراف ومجاوزة الحد لذا

[١]التعبير بقوله (لجنبه أو قاعداً أو قائماً) إما المراد به حالات الإنسان كلها، أو المراد أصناف المتضررين، فمنهم خفيف الضرر القادر على القعود، ومنهم المستطيع للقيام ومنهم صاحب الفراش. ينظر الزمخشري، الكشاف، ج٢، ص٣٢١.

جاءت فاصلة الآية في يونس ﴿ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ يونس:١٢.

٢-الفرح والبطر:

قال تعالى ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَفَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَٰكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَفَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾ الأنعام:٤٢-٤٤، وقال تعالى ﴿ ولئن أذقناه نعماء بعد ضراء مسته ليقولن ذهب السيئات عني إنه لفرح فخور﴾ هود:١٠، ﴿ وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا ۖ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾ الروم:٣٦، وقال تعالى ﴿وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا ۖ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ﴾ الشورى:٤٨، والقرآن الكريم هنا لا ينكر الفرح الطبيعي في حال الرخاء، إنما المراد الازدهاء بالنعمة والبطر ونسيان المنعم،[١] وعادة القرآن إذا ذكر الفرح مطلقاً أن يراد به الفرح المذموم، أما الفرح المحمود فيأتي مقيداً كما في قوله تعالى ﴿ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴾ آل عمران: ١٧٠.[٢]

وذكر السعدي بعداً آخر في وصف هذا الفرح المذموم في حال الرخاء، فبيّن أنه فرح مقصور على النعمة لا يتعداها، ويلزم من ذلك طمأنينة الإنسان بها وإعراضه عن المنعم.[٣]

٣- الفخر:

قال تعالى ﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي ۚ إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ﴾ هود:١٠، والفخر: المباهاة في الأشياء الخارجة عن الإنسان،[٤] وهي تعكس النعم التي تميز بها الشخص كالمال والجاه والسطوة. ويعني التكبر والتعاظم على الناس بما أصابه من النعم.[٥] وهذا الشعور ينشأ لدى الإنسان بسبب غفلته عن المنعم بهذه النعم المتصرف فيها سبحانه، فهو يؤتيها من يشاء وينزعها ممن يشاء، ولو أدرك الإنسان أنه مبتلى بالرخاء كما هو مبتلى بالشدة لما وجد الفخر إلى قلبه منفذاً.

---

[١] ينظرأبو السعود، إرشاد العقل السليم، ج٣، ص٢٩٠. وابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٧، ص٢٣٠.
[٢] ينظر أبو حيان، البحر المحيط، ج٥، ص٢٠٧.
[٣] ينظر السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص ٩١٨.
[٤] ينظر الأصفهاني، المفردات، ص٦٢٧.
[٥] ينظر أبو حيان، البحر المحيط، ج٥، ص٢٠٧.

٤-الاطمئنان بالخير:

قال تعالى ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ۖ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ﴾ الحج:١١، الاطمئنان والطمأنينة: السكون بعد الانزعاج،[١] والاطمئنان بالخير خلل يقع فيه الإنسان في حال الرخاء، حيث يركن إلى النعمة، ويغفل عن طاعة ربه، وعن الآخرة، فيظن واهماً أن الحياة لا تتقلب أحوالها وهذا ما يدفعه إلى القول حال الرخاء ﴿ ذهب السيئات عني﴾ هود:١٠.

وقد وصف القرآن الكريم فئة من الناس لا يرجون لقاء الله واطمأنوا بالدنيا وغفلوا عن الآخرة، وهذه علامة لا تكون إلا حال الرخاء حيث الاطمئنان بالنعم، قال تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ﴾ يونس: ٧

٥-الاعتقاد باستحقاق النعم:

قال تعالى ﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَىٰ ۚ﴾ فصلت:٥٠، وقال تعالى ﴿ فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ الزمر:٤٩.

وهذا مزلق خطر زلت فيه أقدام كثير من الناس في حال الرخاء، حيث يظن الإنسان بأنه مستحق لما آتاه الله منعم لما له من فضل، أو لعلم الله تعالى باستحقاقه لها، أو لعلمه بوجوه كسب هذه النعم، فيغفل عن شكر الله تعالى، وينسى فضل الله عليه بذلك،وأنه تعالى هو المنعم ولو شاء لسلبه هذه النعم.[٢]

قال الرازي في وصف هذه الفئة من الناس: «ولا يعلم المسكين أن أحداً لا يستحقعلى الله شيئاً».[٣]

ومن الآيات الدالة على ذلك أيضاً قوله تعالى﴿ فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ﴾ الفجر: ١٥، قال أبو السعود: «أي فضلني بما أعطاني من المال والجاه حسبما كنت استحقه، ولا يخطر بباله أنه فضل تفضل به عليه ليبلوه أيشكر أم يكفر».[٤]

---

[١] ينظر الأصفهاني، المفردات، ص٥٢٤.
[٢] ينظر أبن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج٧، ص١٧٠. الزمخشري، الكشاف، ج٤، ص١٢٨.
[٣] الرازي، مفاتيح الغيب، ج٢٧، ص٥٧٢.
[٤] أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ج٦، ص٤٢٦.

وقد يدفع اعتقاد الاستحقاق الإنسان إلى الشك في البعث والحساب، وظن استحقاقه الجزاء الحسن في الآخرة كما استحقه في الدنيا، كما جاء في قوله تعالى ﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَىٰ ﴾ فصلت: ٥٠، وهذا ما وقع فيه صاحب الجنتين المذكور في سورة الكهف، قال تعالى ﴿ وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَٰذِهِ أَبَدًاوَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا﴾ الكهف: ٣٥-٣٦.

وهنا يظهر خطأ وانحراف بعض الأطروحات التي بدأت تنتشر في المجتمعات المسلمة، والتي يقدمها بعض مدربي التنمية الذاتية، متأثرين بثقافات غربية وشرقية لا تستند إلى علم ثابت، فأحد القوانين التي يروجون لها لإدارة الحياة وتحقيق الأهداف والأمنيات (قانون الاستحقاق).

وهذا القانون -بحسب زعمهم- يستطيع الإنسان من خلاله تحقيق أهدافه، وغاياته في حياته، وهو كما يعرفونه الشعور في العمق والإيمان والقناعة بحصول الأشياء التي يريدها الإنسان مع اعتقاده لاستحقاقه لها، ويرون أن الرغبات والأهداف يستحيل أن تتحقق دون الشعور بالاستحقاق، وأن القدر يتفاعل مع متطلبات الشخص،[1] وهذا مخالف لما دلت عليه الآيات القرآنية التي تنكر على الإنسان اعتقاده استحقاق النعم، وهو مخالف أيضاً للقواعد القرآنية المتعلقة بالإيمان بالقدر، ومفهوم الابتلاء بالخير والشر، ومفهوم نسبية الخير والشر، ومفهوم الموازنة بين التسليم للقدر وبذل الأسباب، وغيرها من القواعد التي سيأتي تفصيلها في المطلب الثالث من هذا المبحث.

٦-الإعراض والنأي بالجانب:

قال تعالى ﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ ۖ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ﴾ الإسراء: ٦٧، وقال تعالى ﴿ وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ ﴾ الإسراء: ٨٣، فصلت: ٥١، والإعراض: الصد وهو ضد الإقبال، والمراد

[1] ينظر القناة الرسمية د. صلاح الراشد على اليوتيوب، حيث قال «الاستحقاق هو الشعور في العمق وفي الرغبة، هو الإيمان والقناعة بأن هذا الشيء ممكن، وأني استاهل وأستحق، ثم ليس هناك أي موانع عميقة أو داخلية أو لا واعية تمنع هذا الشيء من حدوثه...دون الشعور بالاستحقاق يصعب بل يستحيل الحصول على الوفرة». حلقة (اضبط الاستحقاق لتحصل على الوفرة) الجزء الأول الحلقة١، أول دقيقتين من الحلقة.وقال: «الدنيا هي طوال الوقت توفر الرغبات، القدر نظام يتفاعل مع أيش المتطلبات كأنه (شبيك لبيك ما تطلبه بين يديك) تفضلوا اطلبوا». حلقة اضبط الاستحقاق للحصول على الوفرة، ج٢، الحلقة ٢، الدقيقة ٣٠:٣.

الإعراض عن ذكر الله، والنأي بالجانب يرى بعض المفسرين أنه تأكيد للإعراض بتصوير صورته، وهو أن يلوي عن الشيء عطفه،[1] وأما ابن عاشور فيرى أن الإعراض الصد والنأي بالجانب البعد فالمعنى أعرض وتباعد.[2]

والإعراض والنأي بالجانب ينبئ عن خلل عقدي نفسي سلوكيمركب عند بعض الناس في حال الرخاء؛ فيعتقد الإنسان واهماً استغناءه عن الله تعالى ما يسوقه إلى جحود هذه النعم فلا يؤدي حق شكرها، أما النأي بالجانب فيعكس التكبروالجحود الكامن في القلب.

٧-المنع:

قال تعالى ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًاإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًاوَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ﴾المعارج ١٩-٢١.

والمنوع صيغة مبالغة، أي كثير المنع والإمساك،[3] فيمنع المعروف، ويشح بماله ولا يلتفت إلى الناس،[4]يبين البقاعي الباعث على المنع بقوله:«للانهماك في حب العاجل، وقصور النظر عليه وقوفاً على المحسوس لغلبة الجمود والبلادة، وهذا الوصف ضد الإيمان لأنه نصفان: صبر وشكر».[5]

وهذا السلوك ينبئ عن خلل في نفس الإنسان، يتمثل في رضاه بالحياة الدنيا والاطمئنان بها، والغفلة عن المنعم، والأنانية والشح بما عنده، واعتقاده استحقاق هذه النعم لذا فهو يملك حق منعها، مع حرصهعليها والخوف من فقدانها لذلك يبخل بها.

٨-النظرة المادية المجردة لحال الرخاء والغفلة عن الحكمة من الابتلاء بالخير والشر:

قال تعالى ﴿ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوْا وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ الأعراف:٩٥

قد يغفل الإنسان عن الحكمة من الابتلاء بالرخاء والشدة، وتعمى بصيرته عن ذلك خاصة بعد زوال الشدة وكثرة النعم، فيرى أن تبدل الأحوال سنة جارية في الكون لا ابتلاء من الله تعالى، قال السعدي في بيان مقالتهم المذكورة في الآية: «أي هذه عادة جارية لم تزل موجودة في الأولين واللاحقين، تارة يكونون في سراء، وتارة في ضراء، وتارة في فرح، ومرة في ترح على حسب تقلبات الزمان وتداول الأيام،

[1] ينظر الزمخشري، الكشاف، ج٢، ص٦٦٢. وأبو السعود، إرشاد العقل السليم، ج٤، ص١٥٤.

[2] ينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج١٥، ص١٩٢.

[3] ينظر الشوكاني، فتح القدير، ج٥، ص٣٤٧.

[4] ينظر الرازي، مفاتيح الغيب، ج٣٠، ص٦٤٤.

[5] البقاعي، نظم الدرر، ج٢٠، ص٤٠١.

وحسبوا أنها ليست للموعظة والتذكير، ولا للاستدراج والنكير».[١]

٩-كفر النعم:

وهو الإعراض عن شكر الله عز وجل على النعم التي أنعم بها على الإنسان، قال تعالى ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ ۖ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا﴾ الإسراء:٦٧، وقال تعالى (وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا ۖ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ﴾ الشورى:٤٨.

والمقصود بالكفر في هذه الآيات كفر النعم، وهذا باعتبار غالب جنس الإنسان،[٢]وجوز ابن عاشور أن يكون الاستغراق حقيقياً فتكون الجملة وصفاً لجنس الإنسان، وتكون صيغة المبالغة في كلمة (كفوراً) راجعة إلى كثرة أحوال الكفران مع تفاوت درجاتها، سواء كان ترك الشكر ضلالاً أو سهواً أو غفلة.[٣]

١٠-الشرك بالله تعالى:

قال تعالى﴿ وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ) الروم:٣٣، وقال تعالى ﴿ وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ ۚ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ۖ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ﴾ الزمر:٨، وقال تعالى ﴿ قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَئِنْ أَنْجَانَا مِنْ هَٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَقُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ﴾ الأنعام: ٦٣- ٦٤.

والشرك يقع من فريق من الناس في حال الرخاء، حيث يعودون إلى الشرك بالله تعالى بعد زوال الشدة، وحلول النعم، بعد أن كانوا يدعون الله في الشدة منيبين إليه تضرعاً وخفية.

ومن لطائف التعبير في سورة الأنعام العطف بحرف (ثم) في قوله ﴿ ثم أنتم تشركون﴾ ، للدلالة على الترتيب الرتبي، «لأن المقصود إن إشراكهم مع اعترافهم بأنهم لا يلجأون إلا إلى الله في الشدائد أمر عجيب».[٤]

[١]السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص٣٣٤.
[٢]ينظر الشوكاني، فتح القدير، ج٤، ص٦٤٦.
[٣]ينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج١٥، ص١٦٠-١٦١.
[٤]ينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير ج٧، ص٢٨٣.

وفي سورة الروم جاء التعبير بحرف (إذا) الفجائية في قوله ﴿ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾ الروم:٣٣ للدلالة على إسراعهم في العودة إلى الشرك بمجرد ذوق الرحمة.[١]

إذن فهذا حال الإنسان في الرخاء يتقلب بين فخر وفرح وإعراض ونأي بالجانب وغرور بالنعمة قد يقود إلى الجحود والغفلة والشرك وإنكار الحق، وهذا ما يقع فيه الكافر، وقد يتلبس ببعض صوره العصاة إلا أن تسوقهم فطرتهم إلى الحق.

المطلب الثاني

الإنسان في حال الشدة

صور القرآن الكريم الإنسان في مواجهة أحوال الشدة في حياته كاشفاً بذلك عن جوانب عقدية ونفسية وسلوكية مهمة، ويقصد بالشدة ما يهدد رخاء الإنسان من زوال النعم وتبدل الأحوال،وفيما يأتي بيان ذلك:

١- اليأس:

قال تعالى ﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَئُوسٌ كَفُورٌ﴾ هود: ٩،وقال تعالى ﴿ وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ ۖ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَئُوسًا) الإسراء:٨٣، وقال تعالى ﴿ لَا يَسْأَمُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ﴾فصلت: ٤٩.

اليأس: انقطاع الرجاء،[٢]وهو حالة نفسية تعتري الإنسان في الشدائد أحياناً. ويأس الإنسان في حال الشدة يكون بانقطاع رجائه من عود حال الرخاء والنعم في العاجل أو الآجل، لقلة صبره.[٣]وجاء التعبير في الآيات بصيغة (يئوس) على وزن (فعول) الدالة على المبالغة في اليأس.

ربط القرآن الكريم اليأس بحالين يدلان على شدة تعلق الإنسان بالنعم في حال الرخاء، فالتعبير بنزع الرحمة في آية هود يدل على شدة تعلقه بالنعم،[٤]وفي آية فصلت وصف الإنسان بأنه لا يسأم من طلب الخير ونعم الدنيا، ولا يقنع بقليل ولا كثير منها،[٥] ولعل هذا ما يفسر شدة اليأس في حال الشدائد.

---

[١]ينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٢١، ص٩٨.
[٢]ينظر ابن فارس، مقاييس اللغة، ج٦، ص١٥٣.
[٣]ينظر أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ج٣، ص٢٩٠.
[٤]ينظر المرجع نفسه، ج٣، ص٢٩٠.
[٥]ينظر السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص٩٠٥.

وقد يغلب وقوع الإنسان في اليأس حال الشدة، إذا كان معتاداً على النعم وسعة العيش، ولم يسبق له أنه واجه الشدائد في حياته، وهذا المعنى الذي ذكره أبو حيان في تفسيرقوله تعالى ﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَئُوسٌ كَفُورٌ﴾ هود: ٩.[1]

٢- القنوط:

قال تعالى ﴿ وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا ۖ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾ الروم:٣٦، وقال تعالى ﴿ لَا يَسْأَمُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ﴾ فصلت: ٤٩.

القنوط: هو اليأس من الخير،[2] ويرى أبو السعود أن القنوط يأس مفرط يظهر أثره في الشخص فيتضاءل وينكسر.[3]فالتعبير باليأس يدل على الفعل القلبي النفسي، والقنوط يدل على الانفعال البدني السلوكي المتمثل بالتذمر والغضب وذم الواقع،[4] لذا حسن الجمع بينهما في قوله (فيئوس قنوط).

وفي آية الروم دل التعبير ب(إذا) الفجائية في قوله ﴿إذا هم يقنطون﴾ على المسارعة إلى القنوط عند إصابة السيئة، مع دلالة المضارع على الاستمرار في القنوط.[5]

القنوط.[5]

٣- التطير:

قال تعالى﴿ فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَٰذِهِ ۖ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَنْ مَعَهُ ۗ أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ الأعراف: ١٣١

وأصل التطير التفاؤل بالطير، ثم استعمل في كل ما يتفاءل به ويتشاءم به.[6]والمعنى المراد بالتطير في الآية التشاؤم، والآية في آل فرعون الذين كانوا يحسبون أن حلول الشدائد بسبب وجود موسى عليه السلام ومن آمن به.[7]

إن وقوع بعض الناس في التطير حال الشدائديدل على الجهل، وقلة العلم وغلبة الوهم والخرافة على تفكيرهم، حيث يرجعون وقوع الشدائد إلى أسباب غير حقيقية، ويتجاهلون الأسباب الحقيقية لذلك.

[1]ينظر أبو حيان، البحر المحيط، ج٥، ص٢٠٧.
[2]ينظر الأصفهاني، المفردات، ص٦٨٥.
[3]ينظر أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ج٦، ص٤.
[4]ينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٢١، ص١٠٠، ج٢٥، ص١٠-١١.
[5]ينظر الآلوسي، روح المعاني، ج١١، ص٥٧.
[6]ينظر الأصفهاني، المفردات، ٥٢٨.
[7]ينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٩- ص٦٥-٦٦.

وفي الآية دلالة على مبالغة آل فرعون في التشاؤم، حيث جاء التعبير بحرف (إن) الدال على الشك واسم النكرة (سيئة) للدلالة على ندرة وقوع الشدائد مقارنة بالنعم، وهم مع ذلك يتطيرون.[1]

٤- الاعتقاد بأن وقوع الشدة إهانة للإنسان، والغفلة عن الحكمة من الابتلاء بالشدائد:

قال تعالى ﴿وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ﴾ الفجر: ١٦.

وهذا خلل عظيم، وغفلة عن الحكمة الإلهية في الابتلاء بالخير والشر، فيسمي الإنسان ترك التفضل عليه من الله تعالى إهانة،[2] وهو ليس بإهانة، بل اختبار أيصبر أم يجزع، وقد يكون تضييق الرزق طريقاً يؤدي إلى كرامة الدارين.[3]

وهذا الخلل منشؤه تحكيم المقاييس الدنيوية المادية والغفلة عن المعاني الإيمانية والغيبية السامية.

٥- الجزع:

قال تعالى ﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًاإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًاوَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا﴾ المعارج ١٩-٢١.

قال الراغب في معنى الجزع:«أبلغ من الحزن...فهو حزن يصرف الإنسان عما هو بصدده، ويقطعه عنه، وأصل الجزع قطع الحبل من نصفه».[4]وفسره بعض المفسرين بأنه الفزع والرعب واليأس من الخير،[5]وأرى -والله أعلم- أن الجزع حالة نفسية تسيطر على الإنسان تقعده عن العمل والقيام بشؤون حياته،وتحدث عندما تتجاوز الانفعالات النفسية الحدود الطبيعية في حال الشدة، وهذا ما فسر به ابن عاشور الهلع، حيث قال: «والذي أستخلصه من تتبع استعمالات كلمة الهلع أن الهلع قلة إمساك النفس عند اعتراء ما يحزنها أو يسرها، أو عند توقع ذلك والإشفاق منه».[6]

٦- كفر النعم:

قال تعالى ﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَئُوسٌ كَفُورٌ﴾ هود: ٩.

ويراد بالكفر هنا كفر النعم ونسيانها في حال الشدة، وقد دلت الصيغة (كفور) على

---

[1] ينظر أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ج٣، ص٢١.
[2] ينظر الزمخشري، الكشاف، ج٤، ص٧٣٨.
[3] ينظر أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ج٦، ص٤٢٧.
[4] الأصفهاني، المفردات، ص١٩٤- ١٩٥.
[5] ينظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج٨، ص٢٤٠.
[6] ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٢٩، ص١٦٧.

المبالغة، قال الزمخشري: «عظيم الكفران لما سلف له من التقلب في نعمة الله نساء له».[١]

ومن مظاهر كفر النعم في حال الشدة أن تصدر من الإنسان أقوال وخواطر من السخط على ما أصابه كأنه لم ينعم عليه قط، وقد جاء التعبير باللام الموطئة للقسم في قوله (ولئن أذقنا الإنسان)، و ب (إن) المؤكدة، وارتباط خبرها باللام في قوله تعالى ﴿ إنه ليؤوس كفور﴾ للدلالة على أنها حقيقة ثابتة لا مبالغة فيها.[٢]كما أن اليأس من فضل الله تعالى المذكور في الآية يعد من باب كفر النعم لذا حسن الجمع بينها.[٣]

٧- اللجوء إلى الدعاء في حال الشدة فقط:

وصفت آيات عدة حال الإنسان في الشدائد وحرصه على الدعاء فيها، واللجوء إلى الدعاء في الشدائد والإكثار منه ليس مذموماً لذاته، بل هو مذموم إذا اقترن بنسيان الدعاء والإعراض عن ذكر الله تعالى في حال الرخاء.

وقد تنوعت طرق التعبير القرآني في وصف الإنسان وتمسكه بالدعاء في حال الشدة، منها قوله تعالى ﴿ وَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُ ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ يونس:١٢، وهذه الآية تدل على لزوم الإنسان الدعاء في جميع أحواله على جنبه وقاعداً وقائماً لا يلهيه شيء عن دعاء ربه.[٤]

وفي آيات أخرى ربط الدعاء بالإنابة، كما في قوله تعالى ﴿وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾ الروم:٣٣،﴿ وَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِ ۚ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ۖ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ﴾ الزمر:٨، والإنسان في الغالب يتوب إلى الله ويرجع إليه وقت الشدائد، ثم إذا كشف عنه الضر عاد إلى ما كان عليه من كفر أو ذنوب إلا من رحم الله تعالى.

وفي سورة فصلت قال تعالى في وصف دعاء الإنسان في حال الشدة ﴿ وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ﴾ فصلت: ٥١،

---

[١] الزمخشري، الكشاف، ج٢، ص٣٦٧.
[٢] ينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج١٢، ص١٣
[٣] ينظر أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ج٣، ص٢٩٠.
[٤] ينظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج٤، ص٢٢٠. وجوز الزمخشري أن تكون الآية تصويراً لاختلاف أحوال المضرورين. ينظر الزمخشري، الكشاف، ج٢، ص٣٢١.

والعرض مستعار لكثرة الدعاء ودوامه،[1] وذكر ابن كثير أن الكلام العريض هوما طال لفظه وقل معناه، وعكسه الوجيز،[2] قال ابن عاشور: «ومحل الانتقاد والتعجيب من أنه ذو دعاء عريض عندما يمسه الشر، فهو من حيث لم يتذكر الإقبال على دعاء ربه إلا عندما يمسه الشر، وكان الشأن أن لا يغفل عن ذلك في حال النعمة فيدعو بدوامها ويشكر ربه عليها، وقبول شكره، لأن تلك الحالة أولى بالعناية من حالة مس الضر».[3]

وجاء ذكر الدعاء تضرعاً وخفية مع الوعد بالمداومة على الشكر عند كشف الضر في قوله تعالى ﴿قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَئِنْ أَنْجَانَا مِنْ هَٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينقُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ﴾ الأنعام: ٦٣- ٦٤، والمراد الدعاء جهراً وسراً،وذكر الآلوسي أن الآية تحتمل الدعاء جهراً وسراً باللسان، وتحتمل الدعاء جهراً باللسان، وسراً بالقلب.[4] وعلى التقديرين جمعت الآية أحوال الإنسان في الدعاء.

وقرن الدعاء بالإخلاص في قوله تعالى ﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۙ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينفَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ يونس:٢٢-٢٣، وقوله تعالى ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ) العنكبوت: ٦٥، والمراد بالإخلاص في الدعاء أنهم لا يدعون غير الله تعالى لعلمهم بأنه لا يكشف الشدائد إلا هو.[5]

وجاء التعبير عن الدعاء بالجأر إلى الله تعالى في قوله تعالى ﴿ وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ﴾ النحل: ٥٣، ومعنى تجأرون أي «ترفعون أصواتكم باستغاثة وتضرع، وأصله جؤار الثور وصياحهما، وهو عن جهد يلحقهما أو في إثر دم يكون من بقر تذبح، فذاك الصراخ يشبه به انتحاب الداعي المستغيث بالله إذ رفع صوته».[6]

وليس المراد من الآية ذم الجأر والتضرع إلى الله تعالى، لكن الآية بنظمها الدقيق تعكس الأبعاد النفسية لهذا السلوك، حيث جاء التعبير بالجملة الاسمية في حال الرخاء

---

[1] ينظر الزمخشري، الكشاف، ج٤، ص٢٠٠.
[2] ينظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج٧، ص١٧٠.
[3] ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٢٥، ص١٤.
[4] ينظر الآلوسي، روح المعاني، ج٤، ص٢٣١.
[5] ينظر أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ج٥، ص١٦٠.
[6] ابن عطية، المحرر الوجيز،ج٣، ص٤٠٠.

﴿وما بكم من نعمة فمن الله﴾ الدالة على الدوام، وحرف الباء في (بكم) الدال على المصاحبة، و(ما) الدالة على العموم، للدلالة على كثرة النعم ومصاحبتها للإنسان مدة طويلة. أما في حال الشدة فجاء التعبير بحرف ثم في قوله (ثم إذا مسكم الضر فإليه تجأرون﴾ الدال على التراخي في الوقوع، وتعريف (الضر) للدلالة على مساس أدنى ما يطلق عليه اسم الجنس، مع دلالة المس على الحصول الخفيف،[١] فالآية بنظمها تشير إلى قلة صبر الإنسان وضيقه بأقل ضر يمسه، فيلجأ إلى الجأر ورفع الصوت بالدعاء.

٨- ترك التضرع حال الشدة:

قال تعالى ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَفَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَٰكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَفَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾ الأنعام:٤٢-٤٤،التضرع من ضرع وهو بمعنى ضعف وذل، وتضرع الرجل أي أظهر الضراعة،[٢] والتضرع التخشعوالانقياد لله تعالى، وتتحدث هذه الآيةعن فئة من الناس بلغت بهم قسوة القلب مبلغاً عظيماً فمنعتهم من الرجوع عن الباطل حتى في الشدائد، وزين لهم الشيطان أعمالهم فاستمروا على ما كانوا عليه من كفر ومعاص، ولم يتعظوا بحال الشدة، ولم يتفكروا بحكمة الابتلاء، فإذا أعرض الإنسان عن الاتعاظ بأحوال الشدة فتح الله عليه أبواب الخير استدراجاً له.[٣]

٩- الانقلاب على الوجه، والارتداد عن الدين:

قال تعالى ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ۖ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ ۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ الحج:١١،وهذا صنف من الناس يعبد الله تعالى على حرف، أي على شك،[٤] أو على انحراف عن العقيدة الصحيحة،[٥] أو على حرف الدين وطرفه لا في وسطه،[٦] فلم يكن الإيمان راسخاً في قلوبهم، فإذا وقعت الشدة ارتدوا عن الدين

[١] ينظر أبو السعود، إرشاد العقل السليم،ج٤، ص٦٩-٧٠. والآلوسي، روح المعاني، ج٧، ص٥٤٦. وابن عاشور، التحرير والتنوير، ج١٤، ص١٧٨.
[٢] ينظر الأصفهاني، المفردات، ص٥٠٦.
[٣] ينظر أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ج٢، ص٣٨٢.
[٤] ينظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج٥، ص٣٥١.
[٥] ينظر ابن عطية، المحرر الوجيز، ج٤، ص١١٠.
[٦] ينظر الزمخشري، الكشاف،ج٣، ص١٤٣.

ورجعوا إلى الكفر.[1] فحال الشدة لا يقربهم من الله تعالى بل يزيدهم بعداً وكفراً.

وخلاصة القول: إن الوصف القرآني لأحوال الناس عند الشدائد على اختلاف أشكالها تفصح عن حالة الضعف التي تعتري من واجهته الشدائد وتوضح مسيس حاجتهم لضبط أنفسهم وسلوكاتهم حتى لا يتملكهم السخط والجزع والشك بالله تعالى، ثم إن اللجوء إلى الله في الشدائد غالباً ما يكون اضطرارياً قصرياً، وإن عدم انطلاقه من سلامة معتقد ورجوع صادق إلى الله قد يخل في أن يؤتي هذا الرجوع أكله على المدى البعيد.

المطلب الثالث

في ظلال التربية القرآنية للإنسان في أحوال الرخاء والشدة

يمكن تصنيف الناس بحسب مواقفهم في أحوال الرخاء والشدة إلى أربعة أقسام:

١-من يتقرب إلى الله تعالى في حال الشدة فقط، فيدعو الله ويلجأ إليه في الشدائد، ثم ينسى الله ويترك الدعاء في حال الرخاء، وجاء وصفهم في قوله تعالى ﴿ وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنْبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَنْ لَمْ يَدْعُنَا إِلَىٰ ضُرٍّ مَسَّهُ ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ يونس:١٢(هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۙ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَفَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ يونس:٢٢-٢٣، وقوله تعالى ﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ ۖ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا﴾ الإسراء: ٦٧، وقوله تعالى ﴿ وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ﴾ لقمان:٣٢، وغيرها.[2]

٢- من يتقرب إلى الله تعالى في حال الرخاء فقطفيطمئن بالرخاء والنعم، ويكفر النعم في حال الشدة، وجاء وصفهم في قوله تعالى﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ۖ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ ۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾الحج:١١.

---

[1] ينظر الآلوسي، روح المعاني، ج٩، ص١٥٨.

[2] مثل الأنعام:٦٣-٦٤، النحل:٥٤، الروم: ٣٣، الزمر:٨، ٤٩، فصلت:٥٠.

٣-من لا يعرف الله تعالى لا في الرخاء ولا في الشدة، فيصيبه الكبر والبطر في الرخاء، ويصيبه اليأس والقنوط وكفران النعم في حال الشدة، كما جاء وصفهم في قوله تعالى ﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَئُوسٌ كَفُورٌ ولئن أذقناه نعماء بعد ضراء مسته ليقولن ذهب السيئات عني إنه لفرح فخور﴾ هود:١٠، وقوله تعالى ﴿ وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾ الروم:٣٦، وقوله تعالى ﴿ لَا يَسْأَمُ الْإِنسَانُ مِن دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ الشَّرُّ فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِن بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِندَهُ لَلْحُسْنَىٰ ۚ ﴾ فصلت:٤٩-٥٠، وقوله تعالى﴿ وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنسَانَ كَفُورٌ﴾ الشورى:٤٨، وغيرها.

٤-من يعرف الله تعالى في الرخاء والشدة، وهو النموذج الذي سعت التربية القرآنية لإيجاده، وتمثلت أسمى صوره في قصص الأنبياء عليهم السلام، الذين حققوا معنى العبودية في الرخاء والشدة.

وفي هذا المطلبعرض لأهم قواعد التربية القرآنية في إعداد الإنسان لمواجهة أحوال الرخاء والشدة حتى يحقق معنى العبودية، ويجني الفلاح في الدنيا والآخرة.

١-البناء العقدي المتين:

إن قوة الإيمان وتمكنه في قلب الإنسان معين له في مواجهة الحياة وتقلباتها؛ لذا تركز الحديث عن هذه القضية في السور المكية كما تبين سابقاً، فموقف الإنسان من أحوال الرخاء والشدة مرتبط ارتباطاً وثيقاً بركنين من أركان الإيمان، وهما:

أ- الإيمان بالله تعالى: فهو مالك هذا الكون والمتصرف فيه، وهو الحكيم الموصوف بكمال الحكمة، وهو العليم الخبير المحيط بكل ما يجري في هذا الكون، وهو اللطيف الرحيم بعباده، فمعرفة الإنسان بالله تعالى وأسمائه وصفاته تعتبر الركيزة الأساسية التي تشكل تصورات الإنسان تجاه الحياة وتقلباتها.

ب- الإيمان بالقضاء والقدر:وهو تقدير الله تعالى الأشياء في القدم، وعلمه سبحانه أنها ستقع في أوقات معلومة عنده وعلى صفات مخصوصة، وكتابته سبحانه لذلك ووقوعها على حسب ما قدرها وخلقه لها.[1]

[1] المحمود، عبد الرحمن بن صالح، القضاء والقدر، ص٣٩- ٤٠.

فإذا استقر هذا الأمر في قلب الإنسان علم أن أحوال الحياة حلوها ومرها أمر قد قدره الله تعالى لحكمة قد تخفى عليه أحياناً، وهذا ما يجعل نفسه مهيأة للتسليم والرضا، مدركاً قصور علمه عن الإحاطة بأسرار القضاء والقدر.

ومما جاء في القرآن الكريم تأكيداً لهذه القاعدة المهمة قصة موسى عليه السلام والعبد الصالح الذي أوتي علماً لدنياً من الله تعالى خفيت أسراره على موسى عليه السلام، وهو نبي مرسل وأحد أولي العزم من الرسل، فقد جاء على لسان العبد الصالح في القرآن الكريم ﴿ قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًاوَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا﴾الكهف: ٦٧-٦٨،فالأمور التي أجراها الله تعالى على يد الخضر، كان ظاهرها شراً، لكن حقيقتها خير وصلاح، فإتلاف السفينة كان فيه حفظ مال المساكين، وقتل الغلام كان فيه حفظ دين الأبوين، وبناء الجدار دون مقابل كان فيه حفظ كنز الغلامين اليتيمين.

قال تعالى ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌلِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ الحديد: ٢٢- ٢٣.

٢- توسيع آفاق النظر إلى أحوال الحياة وعدم قصرها على التفسير المادي المجرد:

يرشد القرآن الكريم الإنسان إلىتدبر أحوال الحياة في الرخاء والشدة، واستشعار ما تتضمنها من رسائل ربانية، فقد قدر الله تعالى الرخاء والشدة فتنة للإنسان، حتى يحقق العبودية في الرخاء شكراً واعترافاً بنعمة الله، وفي الشدة صبراً ولجوء إلى الله، قال تعالى ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ الأنبياء: ٣٥، وقد جمعت هذه الآية على إيجازها ثلاثحقائق تشكل تصور الإنسان حول الوجود، وهي: الموت، والحياة، والبعث.

وقد أشار القرآن الكريم إلى فئة من الناس غلبت القسوة على قلوبهم فنظروا إلى أحوال الحياة نظرة مادية مجردة وغفلوا عما في أحوال الشدة من تذكير بالتوبة والرجوع إلى الله تعالى، وما في أحوال الرخاء من تذكير بالشكر، قال تعالى ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوْا وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ الأعراف:٩٤-٩٥، وقال تعالى ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَفَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَٰكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَفَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾ الأنعام:٤٢-٤٤

٣- خلق التوازن بين التسليم بالقضاء والقدر وبذل الأسباب:

إن القرآن الكريم لما دعا إلى الإيمان بالقدر خيره وشره، وحث على التسليم والرضا، لم يلغ وظيفة الفرد في الأخذ بالأسباب التي تقي مصارع السوء، ومكاره الدهر، وحث في الوقت ذاته الإنسان على البحث عن الأسباب التي أوصلته إلى ما حل به، وجاءت هذه القاعدة القرآنية واضحة في قوله تعالى ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ ۗ وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ۖ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ عِنْدِكَ ۚ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ۖ فَمَالِ هَٰؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًامَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ۖ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ ۚ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ النساء: ٧٨- ٧٩،فالإيمان بقدر الله والتسليم به، لا يتعارض مع محاسبة النفس وبذل الأسباب لدفع الشدائد وتجنب المكاره.

وجاء تأكيد ذلك في قوله تعالى ﴿ وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا ۖ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾ الروم:٣٦، قال ابن عاشور: «وأدمج من خلال الإنكار عليهم قوله ﴿ بما قدمت أيديهم﴾ لتنبيههم إلى أن ما يصيبهم من حالة سيئة في الدنيا إنما سببها أفعالهم التي جعلها الله أسباباً لمسببات مؤثرة لا يحيط بأسرارها ودقائقها إلا الله تعالى، فما على الناس إلا أن يحاسبوا أنفسهم ويجروا أسباب إصابة السيئات ويتداركوا ما فات فذلك أنجى لهم من السيئات وأجدر من القنوط».[١]

٤- تعزيز مفهوم الافتقار إلى الله تعالى والتذلل إليه في الرخاء والشدة.

من أخطر المزالق التي يقع فيها الإنسان اغترارهبنفسه واستغناؤه عن الله عز وجل بما عنده من علم أو مال أو صحة، واعتقاده بأنه مستحق لما أوتي من نعم إما لمكانته عند الله تعالى، وإما لذكائه وعلمه وجهده، وهذا ما جاء ذمه في آيات عدة، كما في قوله تعالى ﴿ فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ ۚ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ الزمر: ٤٩.

أما المؤمن الحق فإنه يستشعر افتقاره إلى الله تعالى في الرخاء والشدة على حد سواء، معترفاً بفضل الله عليه في الرخاء، وصابراً ومؤمنا بحكمته في الشدائد، ويتجلى هذا المعنى واضحاً في موقف موسى عليه السلام في غربته، قال تعالى﴿ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ القصص:٢٤.

---

[١] ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٢١، ص١٠١.

٥- تقرير مفهوم نسبية الخير والشر في الدنيا.

فالشر في الحياة الدنيا لا بد أن يحمل في ثناياه خيراً مستبطناً، وما قد يظنه الإنسان خيراً يمكن أن يكون وبالاً عليه، وهذا ما قرره القرآن بوضوح في قوله تعالى ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ ۖ وَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ ۖ وَعَسَىٰ أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ البقرة: ٢١٦، قال ابن عاشور: «أي والله يعلم الخير والشر، وأنتم لا تعلمونهما؛ لأن الله يعلم الأشياء على ما هي عليه والناس يشتبه عليهم العلم فيظنون الملائم نافعاً، والمنافر ضاراً».[١]

وفي هذا المعنى قال أبو تمام:

قد ينعم الله بالبلوى وإن عظمت ويبتلي الله بعض القوم بالنعم[٢]

وعليه فينبغي للإنسان أنلا يستبطئ خيرا يظنه شراً، ولا يستعجل شراً يظنه خيراً؛ولهذا ورد الهدي النبوي في الحث على الاستخارة، لما فيها من إرجاع العلم الحقيقي إلى الله تعالى وتفويض الأمور إليه في تقدير ما فيه خير للإنسان،فقد روي عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أنه قال (كان النبي ﷺ يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها).[٣]

وإدراك الإنسان لهذا الأمر يبعث الراحة والطمأنينة في نفسه، بعد استفراغ الجهد في بذل الأسباب، ويقيه اليأس والقنوط عند الشدة، ويعصمه من الغفلة والكفران عند الرخاء والنعم.

٦- التربية على الأدب مع الله تعالى في الرخاء والشدة.

يعلم القرآن الكريم الإنسان الأدب مع الله تعالى في الرخاء والشدة، في أقواله وأفعاله، فالقرآن الكريم يؤكد أن الأقدار خيرها وشرها من الله تعالى، قال تعالى (قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ النساء: ٨٧، وقال تعالى ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا ۚ ﴾ الحديد:٢٢، لكن القرآن في الوقت ذاته يرشد الإنسان إلى الأدب في عدم أسناد الشر إلى الله تعالى، وهذا الأدب أشارت إليه لطائف النظم في كثير من الآيات، قال تعالى ﴿ وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنْبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَنْ لَمْ يَدْعُنَا إِلَىٰ ضُرٍّ مَسَّهُ ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ يونس:١٢، وقالتعالى ﴿ ولئن أذقناه نعماء بعد ضراء مسته ليقولن ذهب

---

[١] ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٢، ص٣٢١.
[٢] أبو تمام، ديوان أبي تمام، ص٣١٦.
[٣] أخرجه البخاري، صحيح البخاري، كتاب الدعوات، باب الدعاء عند الاستخارة، ج٨، ص٨١، حديث رقم ٦٣٨٢.

السيئات عني إنه لفرح فخور﴾ هود: ١٠،﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ ۖ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا ﴾ الإسراء: ٦٧، وغيرها من الآيات،[1] حيث جاءت إصابة الخير مسندة إلى الله تعالى، بخلاف إصابة الشر والضر، وهو الأدب الذي التزمه الأنبياء عليهم السلام، فقد جاء على لسان إبراهيم عليه السلام قوله تعالى ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ الشعراء: ٧٧- ٨٠، فنسب المرض إلى نفسه والشفاء إلى الله لمراعاة حسن الأدب،[2] وقال تعالى في قصة أيوب عليه السلام ﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ الأنبياء: ٨٣، ومن الأدب أن أيوب جعل ما حل به من الضر كالمس الخفيف.[3]

ومن الأدب أن يراعي الإنسان ألفاظه في حال الشدة والرخاء، فلا يقول إلا ما يرضي الله تعالى، فقد روي عن أنس بن مالك أنه قال: (دَخَلْنَا مع رَسولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ علَى أَبِي سَيْفٍ القَيْنِ، وكانَ ظِئْرًا لِإِبْرَاهِيمَ عليه السَّلَامُ، فأخَذَ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ إبْرَاهِيمَ، فَقَبَّلَهُ، وشَمَّهُ، ثُمَّ دَخَلْنَا عليه بَعْدَ ذلكَ وإبْرَاهِيمُ يَجُودُ بنَفْسِهِ، فَجَعَلَتْ عَيْنَا رَسولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ تَذْرِفَانِ، فَقالَ له عبدُ الرَّحْمَنِ بنُ عَوْفٍ رَضِيَ اللَّهُ عنْه: وأَنْتَ يا رَسولَ اللَّهِ؟ فَقالَ: يا ابْنَ عَوْفٍ إنَّهَا رَحْمَةٌ، ثُمَّ أتْبَعَهَا بأُخْرَى، فَقالَ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ :إنَّ العَيْنَ تَدْمَعُ، والقَلْبَ يَحْزَنُ، ولَا نَقُولُ إلَّا ما يَرْضَى رَبُّنَا، وإنَّا بفِرَاقِكَ يا إبْرَاهِيمُ لَمَحْزُونُونَ).[4]

ومن الأدب مع الله تعالى في حال الرخاء الاعتراف بفضل الله عز وجل، وأداء حق النعم بالشكر، قولاً وعملاً، وقد جاء في وصف نبي الله سليمان عليه السلام قوله تعالى ﴿ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَٰذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ النمل: ٤٠.

٧- التربية على التوازن في الانفعالات النفسية في حال الرخاء والشدة:

إن التربية القرآنية في تعاملها مع الإنسان استصحبت بشريته، وما يعتريها من مشاعر الحزن والفرح في التعامل مع أحداث الحياة المتقلبة، فلا بأس أن يحزن الإنسان إن أصابته شدة، ولكن بما لا يوصله إلى السخط والضجر واليأس، فيعقوب عليه السلام

[1] مثل الروم: ٣٣-٣٦، الزمر: ٨، ٤٩، فصلت: ٥٠، الشورى ٤٨،
[2] ينظر أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ج٥، ص٤٧.
[3] ينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج١٧، ص١٢٦.
[4] أخرجه البخاري، صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب قول النبي ﷺ إنا بك لمحزونون، ج٢، ص٨٣، حديث رقم (١٣٠١)

الذي ضرب القرآن به المثل في الصبر الجميل، حزن عند فقد ولديه، وابيضت عيناه من الحزن، لكن لم يصل به الحزن إلى حد القنوط، قال تعالى ﴿ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ ۖ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ يوسف: ٨٣-٨٧، فانظر كيف جمعت الآيات في وصف حال يعقوب عليه السلام وصف الحزن، والبث: وهو الهم الذي لا يصبر عليه صاحبه فيبثه،[١] مع الصبر الجميل وحسن الظن بالله تعالى وعدم اليأس من فرج الله تعالى وتنفيسه.

والأصل أن يفرح الإنسان بالنعمة ويستمتع بها مستحضراً فضل الله تعالى فلا يصل إلى حد الجحود والكفران والبطر، فهذا نبي الله سليمان عليه السلام آتاه الله عز وجل ملكاً عظيماً فلم يصرفه ذلك عن شكر النعم والاعتراف بفضل الله عليه، قال تعالى﴿ حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ النمل: ١٨- ١٩، وقال تعالى ﴿ قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَٰذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ النمل: ٤٠.

وفي المقابل كانت النعم التي أوتيها قارون سبباً لكفره وجحوده وإعراضه، قال تعالى ﴿ إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ ۖ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي ۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾ القصص: ٧٦- ٧٨.

وللرازي عبارة لطيفة في التفريق بين الانفعالات النفسية التي لا يملك الإنسان التحكم فيها، وما يصدر عن الإنسان من أقوال وأفعال اختيارية، وذلك في تفسيره للهلع في قوله تعالى ﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا﴾

---

[١] ينظر أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ج٣، ص٤٢٤.

المعارج ١٩-٢١، حيث قال: «وَاعلَم أن الهَلَعَ لَفْظٌ وَاقِعٌ عَلَى أَمْرَيْنِ :أَحَدُهُمَا: الْحَالَةُ النَّفْسَانِيَّةُ الَّتِي لِأَجْلِهَا يَقْدُمُ الْإِنْسَانُ عَلَى إِظْهَارِ الْجَزَعِ وَالتَّضَرُّعِ وَالثَّانِي: تِلْكَ الْأَفْعَالُ الظَّاهِرَةُ مِنَ الْقَوْلِ وَالْفِعْلِ الدَّالَّةُ عَلَى تِلْكَ الْحَالَةِ النَّفْسَانِيَّةِ، أَمَّا تِلْكَ الْحَالَةُ النَّفْسَانِيَّةُ فَلَا شَكَّ أَنَّهَا تَحْدُثُ بِخَلْقِ اللَّهِ تَعَالَى، لِأَنَّ مَنْ خُلِقَتْ نَفْسُهُ عَلَى تِلْكَ الْحَالَةِ لَا يُمْكِنُهُ إِزَالَةُ تِلْكَ الْحَالَةِ مِنْ نَفْسِهِ، وَمَنْ خُلِقَ شُجَاعًا بَطَلًا لَا يُمْكِنُهُ إِزَالَةُ تِلْكَ الْحَالَةِ عَنْ نَفْسِهِ، بَلِ الْأَفْعَالُ الظَّاهِرَةُ مِنَ الْقَوْلِ وَالْفِعْلِ يُمْكِنُهُ تَرْكُهَا وَالْإِقْدَامُ عَلَيْهَا فَهِيَ أُمُورٌ اخْتِيَارِيَّةٌ، أَمَّا الْحَالَةُ النَّفْسَانِيَّةُ الَّتِي هِيَ الْهَلَعُ فِي الْحَقِيقَةِ فَهِيَ مَخْلُوقَةٌ على سبيل الاضطرار».[1]

٨- تشريع العبادات المعينة للإنسان على الثبات في الرخاء والشدة:

لقد هيأ القرآن الكريم وسائل الصلة بالله عز وجل التي من شأنها أن تعين المداوم عليها على التعرف إلى الله في حال الرخاء والشدة، ومن أهم تلك المعينات الصلاة، قال تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ۚ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾البقرة: ١٥٣.

وإن سورة المعارج حين ذكرت هلع الإنسان الذي يؤدي به إلى الجزع في حال الشدة، والمنع في حال الرخاءبينت أن هناك طائفة خلصت نفسها من ذلك الهلع بالتوجه إلى ما أمرها الله به، مداومة عليه، متسلحة به، قال تعالى ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾ وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٢٦﴾ وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿٢٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٣١﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمْ قَآئِمُونَ ﴿٣٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى جَنَّٰتٍ مُّكْرَمُونَ ﴿٣٥﴾﴾ المعارج: ١٩- ٣٥.

قال أبو السعود: «(إلا المصلين) استثناء للمتصفين بالنعوت الجليلة الآتية من المطبوعين على القبائح الماضية؛ لإنباء نعوتهم عن الاستغراق في طاعة الحق، والإشفاق على الخلق، والإيمان بالجزاء، والخوف من العقوبة، وكسر الشهوة، وإيثار الآجل على العاجل على خلاف القبائح المذكورة الناشئة عن الانهماك في حب العاجل وقصر النظر عليه».[2]

---

[1] الرازي، مفاتيح الغيب، ج٣٠، ص٦٤٤.
[2] أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ج٦، ص٣٠٢.

الخاتمة

بعد هذا العرض المفصل لدلالات الرخاء والشدة في اللغة والتعبير القرآني، ودراسة التصوير القرآني للإنسان في مواجهتها، وبيان أهم قواعد التربية القرآنية للإنسان في الرخاء والشدة، تخلص الدراسة إلى النتائج الآتية:

-عناية القرآن الكريم بهذه القضية وعرضها في آيات عدة يدل على أهمية هذا الموضوع فهو يمس كل إنسان أياً كان جنسه أو دينه أو وصفه.

-تركيز القرآن الكريم الحديث عن هذه القضية في السور المكية فيه دلالة على ارتباطها بالبناء العقدي الإيماني عند الإنسان، وتشكيل التصورات الصحيحة حول الحياة والخالق عز وجل، وفي ذلك إرشاد للمربين والدعاة إلى الاهتمام بهذه القضية وغرس المفاهيم الصحيحة حولها في نفوس الأطفال والناشئة وحديثي الإسلام؛ لأنها أساس مهم ينطلق منه الإنسان في علاقته مع الله عز وجل، وسلوكه في مواجهة الأقدار التي يقدرها.

-تنوع طرائق التعبير القرآني عن حال الرخاء وحال الشدة وتبدلهما بألفاظ متعددة يعكس جوانب مختلفة، وأبعاد متنوعة لهذه الأحوال، مع تناسبها مع السياق الذي وردت فيه، وهذا يبرز وجهاً من وجوه الإعجاز القرآني.

-تميز التصوير القرآني للإنسان في مواجهته لأحوال الرخاء والشدة بالدقة التي عكست جوانب عقدية ونفسية وسلوكية شخصت مواقفه، وأرشدت إلى مواطن الخلل لتداركها، مع ما تضمنته من جوانب بلاغية وجمالية في أسلوب التعبير.

-إن قواعد التربية القرآنية للإنسان في مواجهته لأحوال الرخاء والشدة تخلق جواً من الاستقرار النفسي لدى الإنسان، وتكسبه التوازن في التعامل معها.

-إن في قواعد التربية القرآنية للإنسان في مواجهته لأحوال الرخاء والشدة تحصيناً له من الثقافات والأفكار الدخيلة التي قد تهدد سلامة المعتقد، وتصرف الإنسان عن السلوك القويم.

إن الدراسة إذ تخلص إلى تلك النتائج توصي الباحثين بالتوجه في أبحاثهم إلى التربية العقدية الإيمانية، مستلهمين الآيات الدالة عليها، مستصحبين دلالات السياق القرآني، والمعاني التي تنطق بها الألفاظ والتراكيب.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المراجع

١-الآلوسي، شهاب الدين السيد محمود بن عبد الله (ت١٢٧٠هـ)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٥م.

٢-البخاري، محمد بن إسماعيل (ت٢٥٦هـ)، صحيح البخاري، دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢هـ.

٣-البقاعي، إبراهيم بن عمر (ت٨٨٥هـ)، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

٤-أبو تمام، حبيب بن أوس الطائي (ت ٢٣١هـ)، ديوان أبي تمام، نشر محيي الدين الخياط، نظارة المعارف العمومية، مصر، ط١.

٥-الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد (ت٣٩٣هـ)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، دار العلم للملايين، بيروت، ط٤، ١٩٨٧م.

٦-أبو حيان، محمد بن يوسف الأندلسي (ت٧٤٥هـ)، البحر المحيط، دار الكتب العلمي، بيروت، ط٣، ٢٠١٠م.

٧-الرازي، فخر الدين، محمد بن عمر (ت٦٠٦هـ)، مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣، ١٤٢٠هـ.

٨-الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد (ت٤٢٥هـ)، مفردات ألفاظ القرآن، دار الفلم، دمشق، ط٥، ٢٠١١م.

٩-الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر(ت٥٣٨هـ)، تفسير الكشاف، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٥م.

١٠-السعدي، عبد الرحمن بن ناصر (ت١٣٧١هـ)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٩م.

١١-أبو السعود، محمد بن محمد العمادي (ت٩٨٢هـ)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٩م.

١٢-الشوكاني، محمد بن علي بن محمد (ت١٢٥٥هـ)، فتح القدير، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٧م.

١٣-ابن عاشور، محمد الطاهر بن عاشور(ت١٣٩٤هـ)، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤م.

١٤-عبد الباقي، محمد فؤاد (ت١٩٦٨م)، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠١م.

١٥-العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله (ت٣٩٥هـ)، الفروق اللغوية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ٢٠٠٢م.

١٦-ابن عطية، عبد الحق بن غالب الأندلسي (ت٥٤٢هـ)، المحرر الوجيز في تفسير كتاب الله العزيز، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ.

١٧-ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا(ت٣٩٥هـ)، معجم مقاييس اللغة، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٩م.

١٨-القرطبي، محمد بن أحمد الأنصاري (ت٦٧١هـ)، الجامع لأحكام القرآن، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط٢، ١٩٦٤م.

١٩-ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي (ت٧٧٤هـ)، تفسير القرآن العظيم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٨م.

٢٠-المحمود، عبد الرحمن بن صالح، القضاء والقدر في ضوء الكتاب والسنة، دار الوطن، ط٢، ١٩٩٧م.

٢١-ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ت٧١١هـ)، لسان العرب، طبعة الأوقاف السعودية.